الرمز الكلي في الشعر العراقي الحديث/ شعر الثمانينات
أحمد مطر ومظفر النواب أنموذجاً

Total symbol in modern Iraqi poetry/ the poets Ahmed Matar and Muzaffar al-Nawab as models of the poetry of the eighties.

رشا إبراهيم هزاع [1]

Rasha Ibrahim Hazaa

الخُلاصة

يروم البحث دراسة الرمز الكلي في الشعر العراقي الحديث، متخذاً من شعر الشاعرين أحمد مطر ومظفر النواب بوصفهما أنموذجين عن شعر الثمانينات، فقد استطاع الشاعر أحمد مطر الحصول على موقع متميز في المشهد الشعري العراقي معتمداً تقنية السخرية والمفارقة واللغة الرمزية ليقتلع من صدور خصومه كل قدرة على الرد، واختار مظفر النواب طريق الكفاح والثورة والخروج على الثقافة، حتى درجة العصيان، وقد تجلت وظيفة الرمز في التعبير عن الكثير من الأشياء ذات الطابع الكلي، الأمر الذي يسمح للمتلقي باكتشاف وتأمّل ما وراء النّص من معانٍ، وقد يتم التعبير عن الأشياء الحاضرة والأشياء الغائبة، ماضية كانت أو في المستقبل، والرمز الكلي يحتاج إلى تأويل حقيقي لما وراء الكلمات، ومن خصائصه الإيحاء والغموض، والموسيقى، وتراسل الحواس. فدلالة الرمز الكلي للنبي موسى الكليم –عند أحمد مطر– بالنّسبة إلى فرعون

١– مديرية تربية كربلاء المقدسة email: Fatlwaad34gmail.com

تتجلى بمعاني الخلاص من واقع مأساوي ضاغط، و هي دلالة تستند إلى فكرة سعي النبي موسى إلى تخليص قومه من الظّلم والواقع المأساوي، ويربط الشاعر مظفر بين الأمس واليوم في الرمز الكلي الذي اختاره لقصيدته وهو الإمام الحسين الشهيد بكربلاء. وقد اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي بهدف تتبع الرمز الكلي في النصوص الشعرية، وتحليلها والكلام على إحالتها التاريخية والدينية والثقافية وطريقة توظيفها في النص الشعري.

الكلمات المفتاحية: الرمز الكلي، مطر، النواب، دلالة، شعر الثمانينات.

Abstract

The research aims to study the total symbol in modern Iraqi poetry, taking the poetry of the poets Ahmed Matar and Muzaffar al-Nawab as models of the poetry of the eighties. The poet Ahmed Matar was able to obtain a distinguished position in the Iraqi poetic scene, relying on the technique of sarcasm, paradox and symbolic language to uproot from the chests of his opponents all ability to respond. Muzaffar al-Nawab chose the path of struggle, revolution and going against culture, to the point of disobedience. The function of the symbol was evident in expressing many things of a total nature, which allows the recipient to discover and contemplate the meanings behind the text. Present and absent things may be expressed, whether past or future, and the total symbol requires a true interpretation of what is behind the words. Its characteristics include suggestion, ambiguity, music, and correspondence of the senses. The significance of the overall symbol of the Prophet Moses -according to Ahmed Matar- for Pharaoh is manifested in the meanings of salvation from a tragic and oppressive reality, and it is a significance based on the idea of the Prophet Moses's quest to save his people from injustice and tragic reality, and the poet Muzaffar links between yesterday and today in the overall symbol that he chose for his poem, which is Imam Hussein, the martyr in Karbala. The research adopted the descriptive and analytical method with the aim of tracking the overall symbol in the poetic texts, analyzing them and discussing their historical, religious and cultural references and the way they are employed in the poetic text.

Keywords: overall symbol, Matar, Al-Nawab, significance, poetry of the eighties.

المقدمة

أولاً: موضوع البحث

تتيح دراسة الرمز في الشعر العراقي الحديث المجال للتعرف على تجربة الشعراء في عهد الثمانينات، حيث تألق الشاعران الكبيران مظفر النواب وأحمد مطر، وصارا حديث الركب والناس، ولاسيما أنهما عاشا حياة خاصة قوامها الرفض للسائد، وكان النواب ثورياً بلغة كاشفة موجهة إلى الخصم لتصرعه بضربة بلاغية واحدة، بينما اعتمد الشاعر مطر السخرية والمفارقة واللغة الرمزية ليقتلع من صدور خصومه كل قدرة على

الرد، وهذه النصوص ذات الطبيعة الشعرية الخاصة والقائمة على العصيان هي ما قد يمنح البحث فرصة التعرف على مدى ارتباط الشاعر الثوري أو المتمرد بالتراث والمرجعيات الدينية بقصد التواصل مع قضايا عصره, فضلاً عن التعرف على غايات الربط سواء أكانت غايات جمالية أو فنية أو تعبيرية, بالمقابل تتطلب مخزوناً ثقافياً بهدف معرفة أصول ومرجعيات الرمز على أساس أن الشاعر قد يستدعي نصوصاً، ومضامين قديمة وحديثة من مرجعيات مختلفة، وقد يتقنع بالرمز عبر استدعاء شخصيات تاريخية أو ميثولوجية لها حضورها في الأدب والثقافة والدين، لتتحول قصائد الشاعرين إلى نمط متكرر من الانفعال والتفاعل مع القارئ بمختلف مستوياته ومشاربه، ولكن مبضع النقد يلزمها لتفتح أفق القول الشعري على خصوصياته الإبداعية، والشعر تجربة ذات طبيعة خاصة، تجنح نحو الإيغال والاستبطان والكشف، والشمولية والمغايرة واللاتحديد، والانفعالية والكثافة والغموض، والتعقيد والتعدد واللاواقعية، وللرمز معنى ظاهري ومباشر، وآخر باطني وغير مباشر، فهو ينطلق من الواقع ليتجاوزه، ويستخدم الشاعر أسلوب القناع الذي يمثل شخصية تاريخية يتستر وراءها ليعبر عن موقفه، أو يقيم تجربة الواقع الحديث. ويقدم صورة عن النهائي واللانهائي، وعن المحنة الاجتماعية الكونية، وعن التجاوز والتخطي لما هو كائن إلى ما سيكون، وإن شيوع الرمز في الشعر العراقي الحديث كان بسبب من الخوف من بطش الأنظمة السياسية الحاكمة آنذاك فضلاً عن أسباب ثانوية أخرى، أهمها الإحساس بالظلم وفقد العدل والعدالة الاجتماعية، ووهن الثقافة وعدم قدرتها على التغيير .

المبحث الأول: الرمز في الشعر الحديث:

يتجلى مفهوم الرمز بكونه هو ما يسمح للمتلقي باكتشاف وتأمّل ما وراء النّص من معانٍ خفية وموحية[٢]، وهو "تصويت خفي باللسان كالهمس ويكون تحريك الشفتين بكلام غير مفهوم باللفظ من غير إبانة بصوت إنما هو إشارة بالشفتين، وفي الرمز إشارة أو إيماء بالعينين أو الحاجبين والشفتين في اللغة كلما أشرت إليه مما يبان بلفظٍ معين ورَمَزَ ويَرْزم ورَمْزاً"[٣]، ويؤدي الرمز دوراً في تشكيل النص الشعري الحديث، وذلك بسبب ما يرتبط به من أحداث مهمة ومواقف معهودة ؛ إذ أصبح استدعاؤه في النص الشعري أمراً حيوياً يثري المضمون الشعري، ويكشف الكثير من المعاني التي يصعب الحديث عنها بطريقة مباشرة[٤].والرمز نوع من أنواع الشيفرة النصية وله القدرة الكبيرة على التعبير عن الكثير من الأشياء بطريقة أثرت قدرته على الايحاء والتصوير , واستحضار شتى المواقف والرؤى والتأثير بالمتلقي، مع الاقتصاد باللغة للباث، وبالعامل الزمني للمتلقي في اثناء عملية التلقي، فهو ذو فائدة مزدوجة والملاحظ أن الاتجاه الأدبي

٢ – ينظر: البنيات الأسلوبية في الشعر العربي الحديث، مصطفى سعدي، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، ص٧١.
٣ – معجم لسان العرب، ابن منظور، دار الفكر، بيروت، ج٣، ط١، ٢٠٠٥. مادة رمز.
٤ – ينظر: الفرق بين الأسطورة والخرافة والتاريخ، نبيل أبو علي, مجلة كلية الآداب, جامعة حلوان, العدد الخامس، ١٩٩٩، ص٢٠١-٢٠٢.

المعاصر، يعتمد الرمز بصورة عامة ويقلل من الصورة الأخرى؛ كالتشبيه والاستعارة بصفة ان الرمز هو اكثر فاعلية وقدرة على التعبير عن أوسع الدلالات [٥], ويتحتم على الشاعر أن يكون على دراية تامة بحاجة نصه إلى تبنى اسلوبية رمزية أم غير رمزية لأن الأسلوب الرمزي يعتمد على نقل دلالات الألفاظ لتتناسب مع النص كله اذ تصبح مجمل ألفاظ النص منسجمة متعاونة فيما بينها بحيث لو تغير رمز احدها امتثلت له جميعها [٦]، وإدراك الرمز عملية تتطلب فهم السياق الذي ورد فيه، وإحالته على مرجعيته الفكرية أو التاريخية أو الاجتماعية والسياسية والفنية. والرمز وسيلة إيحائية من أبرز وسائل التصوير الشعرية التي ابتدعها الشاعر المعاصر، عبر سعيه الدائب وراء اكتشاف وسائل تعبير لغوية، يثري به اللغة الشعرية ويجعلها قادرة على الإيحاء بما يستعصي على التحديد والوصف من مشاعره وأحاسيسه وأبعاد رؤيته الشعرية المختلفة، فالرمز يعدّ اكتشافاً شعرياً حديثاً إلى حد ما[٧].

وظيفة الرمز تتجلى في التعبير عن الكثير من الأشياء ذات الطابع الكلي، وقد تعبر عن الأشياء الحاضر ة والأشياء الغائبة، ماضية كانت أو في المستقبل، وقد تصور الأشياء اللاموجودة والأشياء المتخيلة الوجود، وقد تستخدم في الكشف عن الأشياء المجهولة وهكذا تخدم الرموز الإنسان في وظائف التذكر والتوقع والتعرف والإدراك الحاضر للأشياء، ويصبح التوقع نبوءة إذا تضمن الرمز روابط اتصالية ذات طابع يقيني، وتبدو علاقة العليَّة في هذا الصدد، ذا ت أهمية قصوى[٨]. والرمز الكلي: " هو معنى محوري شفاف مجسد في إحدى الظواهر المادية، يتمركز على أرضه جل الصور الجزئية التي تتوزع العمل الشعري، وتشده نحو هدف جمالي منظور ويربطها به ينبوع التجربة الشعورية "[٩]، **والرمز الكلي** هو رمز يحتاج إلى تأويل حقيقي لما وراء الكلمات من معان خفية، وهو يرابط بمجموعة من الصور الشعرية المتداخلة في القصيدة أو المقطع الشعري[١٠]، والرمز الكلي هو الذي يرد في أكثر من قصيدة، وهذا النوع ذو فاعلية نصية، لأنه يقوم بحبك النصوص على الرغم من كونه صورة جزئية ثم إنه يكتسب كليته من التكرار. ومن خصائص الرمز الإيحاء والغموض، والموسيقى، وتراسل الحواس.

المبحث الثاني: وقفة مع سيرة أحمد مطر وشعره المتمرد:

ولد أحمد مطر في مطلع الخمسينات في قرية التنومة إحدى نواحي (شط العرب) في البصرة، و عاش فيها مرحلة الطفولة قبل أن تنتقل أسرته، و هو في مرحلة الصبا لتقيم عبر النهر و فيها ترعرع، و استمد

٥ – ينظر: البلاغة الحديثة، د. محمود البستاني، دار الفقه للطباعة, ص١٠٨.
٦ – ينظر: الشعرية في النثر الصوفي، د. اسماعيل خلباص حمادي،رسالة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها،كلية التربية (ابن الرشد) جامعة بغداد،١٩٩٨، ص٨٤.
٧ – ينظر: عن بناء القصيدة العربية الحديثة، علي عشيري زايد، ط ٤، مكتبة ابن سينا، القاهرة، ٢٠٠٢، ص١٠٤.
٨ – ينظر: الشعر العربي المعاصر قضايا ه وظواهره الفنية والمعنوية، د.عز الدين اسماعيل، دار الفكر العربي، ط٣، ص٢٠١.
٩ – التصوير الشعري– رؤية نقدية لبلاغتنا العربية، عدنان حسين قاسم، الدار العربية للنشر والتوزيع، مصر، ٢٠٠٠، ص١٩٢.
١٠ – المرجع السابق نفسه، ص١٢.

أمله وحلمه ومشاعره[١١].قرض الشعر و هو في عنفوان شبابه وكان يعرض شعره في الأوساط الأدبية العامة دون خوف ووجل، ولم يخرج شعره في البداية عن نطاق الغزل و الرومانسية، لكن سرعان ما تكشفت له خفايا الصراع بين السلطة و الشعب، فدخل المعترك السياسي من خلال مشاركته في الاحتفالات العامة بإلقاء قصائده من على المنصة، و كانت هذه القصائد مشحونة بقوة عالية من التحريض و تتمحور حول موقف المواطن من سلطة لم تتركه ليعيش، و لم يكن لمثل هذا الموقف أن يمر بسلام، الأمر الذي اضطر إلى السفر إلى الكويت هرباً من مطاردة السلطة[١٢].

عمل أحمد مطر في جريدة القبس الكويتية محرراً ثقافياً، و كان آنذاك في منتصف العشرينيات من عمره حيث مضى بدون قصائده التي أخذ نفسه بالشدة من ألا تتعدى موضوعاً واحداً، و إن يومياته في مفكرته الشخصية لكنها سرعان ما أخذت طريقها إلى النشر، فكانت القبس الثغرة التي أخرج منها رأسه، وباركت انطلاقته الشعرية الانتحارية و سجلت بلافتاته دون خوف، وأسهمت في نشرها بين القراء[١٣].

للشاعر أحمد مطر أعمال كثيرة، و قد اشتهرت قصائده باسم لافتات مطرية و تتكون من سبعة أجزاء و قد جمعت في ديوان واحد يحمل اسم اللافتات مرقماً حسب الإصدار لافتات١، لافتات٢،... الخ، بالإضافة إلى ديوان الساعة وديوان إنّي المشنوق أعلاه... كما أن هذه الدواوين قد جمعت في كتاب واحد باسم الأعمال الشعرية الكاملة[١٤].

المبحث الثالث: نظرة في حياة مظفر النواب وشعره الثوري:

هو مظفر بن عبد المجيد بن أحمد حسن بن أحمد بن إقبال بن معتمد النّواب، والنواب تسمية جاءت من النيابة، أي النائب عن الحاكم حيث كانت العائلة تحكم إحدى الولايات في الهند، وقد ولد في بغداد عام ١٩٣٤م، ولكن وضع تاريخ ميلاده في شهادة الميلاد ١٩٣٢ م حتى يتمكن من دخول المدرسة في سن مبكرة . عاش النواب في بيت مترفٍ يسوده الوئام والسعادة والحياة الهانئة، فقد كانت والدته، وهي وجيهة بنت علي من مواليد بغداد، أما والده عبد المجيد وهو من مواليد عام ١٩١٠ م لم يكن يشتغل بأي مهنة. بل كان ثريًا وأرستقراطيًا كوالده أحمد حسن، إذ كانت العائلة ثرية وأرستقراطية[١٥].

نشأ مظفر النواب في بيت يضم عددًا من الآلات الموسيقية الوترية التي ارتسمت في ذاكرته منذ الطفولة... هذا إضافة إلى التحف الثمينة واللوحات والمنحوتات والسجاد ذات الألوان الزاهية، ولعلّ من

١١ – ينظر: أحمد مطر، نبذة عن حياته و أجمل أشعاره، بنان أبو عيد، دار حمورابي للنشر و التوزيع، عمان الأردن، ط١، ٢٠٠٧، ص٥.

١٢ – ينظر: أحمد مطر، نبذة عن حياته و أجمل أشعاره، بنان أبو عيد، ص٦.

١٣ – مقتطفات من حدائق الشعراء، أحمد مطر، نزار قباني، محمود درويش، دار البحار للطباعة و النشر و التوزيع، درب البريج، عمان، الأردن، ص٤–٥.

١٤ – ينظر: أحمد مطر، نبذة عن حياته و أجمل أشعاره، بنان أبو عيد، ص٨.

١٥ – ينظر: مظفر النواب أجمل قصائده، يوسف شنتوت الزبيدي، دار دجلة، عمان، ٢٠٠٨، ص٧–٨.

المفارقات الطريفة في حياة النواب أن تعود تلك الوتريات التي بقيت محفورة في ذاكرته بعد غياب طويل لتحتل اسم أول ديوان له مطبوع بالفصحى، وهو ديوانه المسمى (وتريات ليلية) كما انعكست ألوان التحف والسجاد على النواب حيث تولد عنده القدرة على استخدام الألوان والتعامل معها[١٦].

كانت حياة النواب مشحونة بالأخطار والتنقل والسفر والاغتراب، ويلفها الغموض الاضطراري بسبب الاستهداف الدائم الذي يستشعره النواب بصورة متواصلة إضافة إلى التعذيب النفسي والجسدي الذي تلقاه على أيدي السلطات بسبب مواقفه السياسية من الحكام العرب، هذه الهزات الحياتية العنيفة التي تعرض لها النواب، وعلى رأسها النفي خارج الوطن، ولدّت لديه موقفًا معاديًا للأنظمة العربية كافة، فقد نظر النواب إلى الواقع العربي فرأى فيه ازدواجية ومزاوجة في التعامل، فيبدو أنّ هذه النظرة جعلته يساجل اللغة ويمازج بين عدة مستويات لغوية تتماشى مع تراثه الثقافي من جهة، وعلاقته بالعالم الخارجي من جهة أخرى، وتنوعت هذه المستويات لتتوزع بين المستوى الفصيح والمستوى العامي، فجعل النواب اللغة الشعرية سلاحًا أشهره في وجه الأنظمة العربية ليقطف به ثمر الشهرة الواسعة التي وصل إليها بأشعاره. تجربة مظفر النواب عمرها نصف قرن من الرفض والمجابهة وهتك الأقنعة الرسمية غاص خلالها في أقصى حمم اللغة وبلاغتها من دون أن يدير ظهره لجمهوره، فبسبب المكابدات الطويلة في السجون والنفي خارج وطنه تولد —عن ذلك كله– الشعر العامي من رحم "الأهواز" حيث اكتشف جرسًا آخر للغة، فكتب بلهجة الأهواز قصيدته "الريل وحمد" بين عامي ١٩٦٥ و١٩٥٨ فإن القارئ لشعر مظفر النواب يجد صوتًا شعريًا استثنائيًا، تشبّع بالتراث الشعبي العراقي وموسيقى الأهواز، فمن هنا يعد مظفر النواب " رائد الحداثة العاميّة" ولعل النواب وجد في المأثور الشعبي بشخوصه ووقائعه مادة حية في ضميره يتمثلها أبعادًا روحية وفكرية تعكس لنا وجوده وتطلعاته، فالكلمة لدى الشاعر جسم حي يتضجر تحت يده الحساسة، ويعمل على انتزاعها من محدودية معانيها القاموسية فيقيم علاقة بين جرسها ومعناها سواء أكانت هذه العلاقة تجاوبًا أم تنافرًا. ولم تقتصر أشعاره على المستوى العامي فحسب، بل نسج أشعارًا باللغة الفصحى حتى يوازي بين المستويات الضرورية والمختلفة، ولتلامس أشعاره وجدان القارئ بمختلف ثقافاته[١٧].

المبحث الرابع: الرمز الكلي في شعر أحمد مطر:

أسس الشاعر العراقي الكبير أحمد مطر لنفسه مدرسة شعرية خاصة لاقت قبولاً كبيراً في نفوس الشعب وحققت شهرة واسعة بين جمهور الشعر وهي (لافتاته) التي دلت على شاعرية أحمد مطر وقدرته الإبداعية، وقد كثف فيها كثيراً من القضايا السياسية فعبر عنها بروح الشاعر البليغ والإنسان العاشق للحرية والمطالب

١٦ – ينظر: مظفر النواب سجين الغربة والاغتراب أحلام يحيى، دار نينوى– دمشق، ٢٠٠٥، ص١٥.
١٧ – ينظر: مظفر النواب، حياته وشعره، باقر ياسين، دمشق، ١٩٨٨، ص١٦٧.

بحقوق الشعب ووجوب تحقيق العدالة؛ ولأنه ابن العراق فإن كربلاء تحولت في شعره إلى رمز كلي، عبر من خلاله عن عمق الهوة بين عدالة السماء وظلم الأرض، وأن هذه الأرض هي أرضٌ للجور والقتل، فقرر أن يتمرد عليها، وأن يسرد للناس قصة تطرده عبر السخرية السياسية والمفارقة التي غدت سمة من سمات نصوصه، ولعل ولعه بالسخرية هو ما جعله يعنون مجموعة من دواوينه بلافتات ثم يرقمها بأرقام متسلسلة، وهذا يدل على خفة دم، وطول باع في فن السخرية، ولأنّه كربلائي الطبع لا يخاف في المجابهة أعلن موقفه شعراً، وغدت كربلاء رمزاً شعرياً كلياً، يستظرف من خلاله حدث الحاضر ونزعاته ونوازله وفجائعيته، ففي العراق كل يوم هو كربلاء مستعادة، يقول أحمد مطر:

"لَسْتُ أَهْتَمُّ
بِمَنْ كَانَ مَعِي أو كَانَ ضِدِّي
لَسْتُ أَهْتَمُّ بِمَنْ أَتْرُكُ بَعْدِي
لَسْتُ أَهْتَمُّ بِمَنْ يَبْكِي دُمُوعاً
أو بِمَنْ يَبْكِي دِمَاءْ
لَيْسَ عِنْدِي
غَيْرُ هَمٍّ وَاحِدٍ:
أنْ أَسْبِقَ المَوْتَ إلى العَيْشِ
فأَغْدُو مِنْ ضَحَايا (كَرْبَلاءْ)"[١٨]

وفي قصيدة أخرى يستدعي لنا قصة موسى وفرعون بوصفها رمزا كليا يستغرق النص، ويدور بدلالاته القرآنية والتاريخية، ليسقطها بدوره على الحاضر؛ يقول أحمد مطر:

" فدمانا
صبغت راية فرعون
وموسى فلق البحر بأشلاء العيال
ولدى فرعون قد حط الرحال
ثم ألقى الآية الكبرى
يدأبيضاء.. من ذُلّ السؤال
أفلح السحر
فها نحن بيافا نزرع "القات"

١٨ – لافتات٣، أحمد مطر، ط١، لندن،١٩٨٩، ص١٠٣.

ومن صنعاء نجني البرتقال"[١٩]

تشي دلالة الرمز الكلي للنبي موسى الكليم بالنّسبة إلى فرعون بمعاني الخلاص من واقع مأساوي ضاغط، هي دلالة تستند إلى فكرة سعي النبي موسى إلى تخليص قومه من الظّلم، في الوقت نفسه الذي صبر فيه على ماذاقه من أذاهم وغرورهم، هي قضية بحث عن شخصية مشابهة له في الحاضر تكون قدوة ومثالاً يحتذى، وألا تتوقف القضية عند هذه الحدود للقصة المشهورة، والتي يرددها الصغير قبل الكبير، فمشهد العصا التي صارت حية قضت على كل الحيات، هو مشهد مغروس في الوعي الجمعي لكل مسلم، نعم يستحضر الشّاعر هذا المشهد من القصّة القرآنيّة، وهو المشهد الذي فشل فيه السّحر ة أمام عصا موسى، ليشير أنهم خسروا أمام موسى لكنهم أفلحوا في وقتنا الحاضر بسبب من أساليب الخيانات والمؤامرات وتخدير الشّعوب بالوعود الخادعة، فالرمز الكلي المتمثل في موسى وقصته يتداعى بكليته عبر ذكر الشاعر لمشهد أو تفصيل سردي، لكنه من وجهة نظر المفارقة الشعرية هو بيت القصيد، ومركز الدلالة.

المبحث الخامس: الرمز الكلي في شعر مظفر النواب:

الرمز الكلي هو عبارة عن كوكبة من الصور يعمل الشاعر على تقديمها في شعره، وتكمن فائدة توظيفها في انتزاع المعنى منها، وهذا ما يجذب انتباهنا إلى معنى آخر مخفي يستشفه المتلقي من خلف المعنى الظاهري المباشر الموجود في النص[٢٠]. فهي تحتاج إلى شيء من التأويل والتفسير لمعرفة المقصد الرمزي منها . و يستمد الشاعر مظفر النواب الرمز بمستواه الكلي من مصادر ثقافية متعددة؛ منها الثقافة الدينية الصوفية والقصص القرآني والشخصيات الدينية، وكذلك المصادر الأدبية والأسطورية والشعبية والأماكن والوقائع والشخصيات التاريخية.

– استدعاء شخصية الإمام الحسين بن علي عليه السلام:

تأخذ شخصية الإمام الحسين بن علي موقعها المتميز في مسيرة الشهادة لذلك تشكل شخصيته , وموقعة كربلاء تراجيديا البطولة الساعية إلى تحقيق التغيير الحضاري في المجتمع الإسلامي كله، لكن مقابلة هذه الثورة بالقمع والتنكيل أدى إلى فشلها، وإلى موت مأساوي لبطلها ومشعل وقودها،الإمام الحسين بن علي، ولم يكن سبب هذا الفشل نقصاً أو قصوراً في دعوة صاحبها أو مبادئه ,وإنما سببها أنها كانت أكثر مثالية ونبلاً من أن تتلاءم مع واقع ابتدأ الفساد يسري في أوصاله[٢١]، و يأتي استدعاء شخصية الإمام الحسين بن علي في الشعر الحديث بوصفه رمزاً للمقاومة والاستشهاد والبطولة، و لعل هذا ما يحتاجه العالم

١٩ – الأعمال الكاملة، أحمد مطر، لندن، ٢٠٠٣، ص٩١.–

٢٠ – ينظر: الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة بين عامي ١٩٤٨ و ١٩٧٥ م دراسة نقدية، صالح خليل أبو أصبع، دار البركة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٩، ص١٩٤.–

٢١ – ينظر: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، علي عشري زايد، الشركة العامة للنشر والتوزيع، ط١, طرابلس،١٩٨٧، ص١٢١.–

في ظل معاناة القهر والحرمان والفقر والفساد القابع في كل مكان. وقد جاء توظيف الشعراء لشخصية الإمام الحسين بن علي على نموذجين اثنين؛ أحدهما هو التوظيف الكلي للشخصية / الرمز الكلي، والآخر التوظيف الجزئي للشخصية / الرمز الجزئي، والتوظيف الكلي للرمز/القناع أو الشخصية يعني أن تستغرق الشخصية القصيدة من أولها إلى آخرها، حيث يسقط الشاعر على ملامحها التراثية كل أبعاد تجربته المعاصرة(٢٢)، ومن الأمثلة على ذلك قصيدة مظفر النواب الموسومة رأس الإمام الحسين؛ يقول:

"لستُ أبكي
فإنك تأبى بكاء الرجالِ
ولكن ذرفتني أمام الضريح عيوني
يُطافُ برأسك فوق الرماحِ
ورأس فلسطين أيضاً يُطافُ به
في بلاد العروبةِ
يا للمروءةِ
والعبقرية بالجُبن"(٢٣).

يربط الشاعر مظفر بين الأمس واليوم في الرمز الكلي الذي اختاره لقصيدته وهو الإمام الحسين الشهيد بكربلاء، هناك رأس الإمام الحسين يطاف به فوق الرماح.. واليوم رأس فلسطين يطاف به في البلاد.. هنا تبدو المأساة مضاعفة.. وفلسطين اليوم هي الفجيعة التي تتطلب استعادة مامضى، وبذلك نجح الرمز الكلي للحسين في تفعيل بؤرة نصية هي في نهاية المطاف سردية الحق والعدل في مشابهة الظلم، ليتحول الإمام الحسين عبر التصعيد الفني والنفسي والبلاغة الشعرية إلى خلاص للبشرية عبر مقارنة الظالم وسلبه فرحة رؤية ظلمه يستبد بالفلوس فيذلها ويجعلها خانعة مطأطأة، ذليلة لا حياة ولا كرامة ولا عنفوان والقدرة على الدفاع والزود عن الحياة.

في شعر مظفّر توتّر.. بين الانكسار والجنوح إلى التّحدّي.. بين تمثّلات الموقف بقسوة الرجال في ملاحم الصمود والميل إلى ذرف الدموع.. وفي كلّ هذا يبقى رأس الإمام الحسين شامخا في كبرياء السماوات.

-استدعاء شخصية الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام:

يذهب الشاعر مظفر النوب في قصيدة وتريات ليلية إلى استدعاء شخصية الإمام علي عليه السلام:

"ياطير البرق القادم من جنات النخل بأحلامي

٢٢ – ينظر: المرجع السابق نفسه، ص٢٦٤.

٢٣ – للمزيد ينظر: الموسوعة الشعرية، مظفر النواب، شعراء العراق، قصيدة الوقوف بين السماوات ورأس الحسين عليه السلام، موقع شعراء أهل البيت: https://mail.shoaraa.com/p10143-

يا حامل وحي الغسق الغامض في الشرق
على ظلمة أيامي
أحمل لبلادي
حين ينام الناس سلامي
لعلي يتوضأ بالسيف قبيل الفجر
أنبيك عليا
مازلنا نتوضأ بالذل
ونمسح بالخرقة حد السيف
ما زلنا نتحجج بالبرد وحر الصيف
ما زالت عورة عمرو بن العاص معاصرة وتقبح وجه التاريخ
ما زال كتاب الله يعلق بالرمح العربية".(٢٤)

في هذه القصيدة الملحمية ذات النفس الدرامي العميق يستلهم مظفر النواب من تاريخه العتيق شخصية الإمام علي، ويحاول تكثيف قصته واستجلائها للقارئ عبر الرمز الكلي، فشخصية الإمام ذات أبعاد معرفية ودينية متعددة، والشاعر يعرف كيف يوظف هذا الرمز الكلي في نصه بهدف تقديم رسالة سياسية معاصرة مفادها: أن التاريخ يعيد نفسه والمأساة متصلة ومستمرة، لأن العدالة لم تتحقق بعد، فالرمز الكلي هو معادل موضوعي لحياة كاملة مضت، والشاعر لاينفك عن الدوران في زوايا التاريخ متخذاً منه وسيلة لتحفيز الفني والجمالي في الرمز الكلي/ علي، وهو يرفد قصيدته بالمعنى الذي يتطلب فهمه تفكيك نسيج اللغة وإعادة تركيبها وفق منطوقها في السياق، وهنا يتم تسريد الرمز الكلي وتحويله إلى فعل بطولي لشخصية لم تتردد في الدفاع عن الحق، والوقوف في وجه الباطل، فقد قتل عثمان وتم استغلال مقتله من قبل أطراف في السلطة، وبحجة الثأر تم تأليب العامة، وبهذا استفاد بعضهم من الحدث الفاجعة، وتمت المتاجرة بقميصه، ثم عرج الشاعر على تاريخ علي بن طالب، في محاولة لبناء رمزه وتوضيح جوانبه؛ وقد أسفرت هذه الاستعادة لذلك التاريخ القديم الجديد عن مولد شعراء نذروا أنفسهم للدفاع عن معتقداتهم المختلفة، وكانت له سماته الموضوعية، وعلى رأسهم مظفر النواب الذي نذر شعره لتحقيق يوتوبيا العدالة والحق المفقود، وكان لشخصيته المتمردة وفهمه العميق للتاريخ والثقافة الإسلامية الأثر الكبير في الكتابة الشعرية، فجاء استخدامه لرمز الإمام الكلي استخداماً اختصر فيه قصة صراع مرير بين الخير والشر، والحق والعدل، والكذب والنفاق والدجل، وهذا ماتعينه القراءة النصية، وتخرج به من السياق الشعري المتماسك نسجاً ومعمارية فنية، فالرمز

٢٤ – الأعمال الشعرية الكاملة، مظفر النواب، ص٣٣١.

الكلي هنا ليس زينة نفسية بل هو الجبلة الشعورية والخيط الناظم للدفاع الشعرية منذ الكلمة الأولى، والحوار المفترض المبني على سؤال مفترض؛ فجاء الجواب:" أنبيك علياً مازلنا نتوضأ بالذل"، هذا هو الأمر إذن صراع وهذه هي الرسالة السياسية المفترضة، ومن هذه البؤرة الفجائعية ستخرج البكائيات في ثوب فني معاصر حزناً على الطالبيين وبصفة خاصة الإمام الحسين الذي تحول إلى رمز تراثي مستعاد كلما ألم بالقوم كرب أو حدث اعتداء، وكلما رفعت السلطة سيف الظلم لتهوي به على المستلبين المقموعين، هكذا يتحول الرمز الكلي لعلي بن أبي طالب والمدعوم باسم الإمام الحسين وسردية مقتله في كربلاء إلى انموذج فريد لبلاغة المقموعين والخارجين على سلطة الظالم والعتي، مهما كان شأنه، ومهما كانت قوته، ودونهم الموت أو الكرامة، وبهذا غدا هذا الرمز الكلي المصنوع بمهارة ودقة مركز إشعاع لكل مظلوم وحافزاً للشعراء كي يستعيدوا خطاب العدل من فم الضباع التي قتلت وكتبت قصتها بدماء الأبرياء، ومن هنا جاء الزخم التراثي الهائل لشعراء الحداثة بقصة تلك الشخصيات المضحية الطفولة بالمعاناة والفجيعة، التي وجد فيها المتلقي المعاصر ضالته، نظراً لما يعانيه في حياته من ظلم.

الخاتمة:

للرمز الكلي في شعر أحمد مطر وظيفة نوعية تقوم على تكريس نوع من الرفض والقطيعة مع الخطاب الشعري القائم على مدح السلطة، هو في تمرده لا يهدف سوى للحصول على وجبة دسمة من الدلالة التي لا يمكن للقارئ تجاوزها أو الفكاك من أسر بلاغتها، فهي مبنية على الاختزال والكثافة الدلالية والمفارقة والتلميح والتركيز، ومنفتحة على الدهشة، وإشراك القارئ في إعادة إنتاجها، ولاسيما أنها تعكس العيوب وتحكي على النقائص في مجتمع الحاضر الذي يشعر بالحيف الواقع عليه والاضطراب بعد فقده للعدالة الاجتماعية، الأمر الذ ي أدى إلى ضياع قيمه وانتشار الفساد، ولعل من أبرز القيم التي سخر منها الشاعر أحمد مطر النفاق الذي يهدم المجتمع ويدمره، وسخر من حالة الفقر والجوع ومعاناة شعبه، متخذاً من الرمز الكلي لكربلاء حليفه في فضح ما يحدث، والرمز الكلي لموسى كليم الله الذي حقق ما عجز عنه الجميع، وانتصر في معركة فرضها عليه أهل الجور والنفاق. كما كان للرمز الكلي في شعر مظفر النواب وظيفة إبلاغية وإقناعية حجاجية جعلته متفرداً في صور واستعادة الفجيعة، فهذا هو رأس الإمام الحسين بن على يقطع بآلة الظلم ويتم قتله، وهنا يشعر القارئ عبر تكثيف الرمز الكلي للحدث وتعريته وكأنّ القتل قد وقع عليه هو نفسه، لابل شمل الإنسانية جمعاء، والقيم الفاضلة جميعها، وفي الرمز الكلي لعلي بن أبي طالب يتم ربط الماضي بالحاضر عبر الإسناد إلى القضية الفلسطينية بوصفها ضحية من ضحايا سيادة ثقافة الجهل والظلم والضياع وغياب أهل الحق عن إدارة شؤون الناس، فحبل الدجل والنفاق على غاربه، ولذلك تغدو مصادر الشعوب رهينة بيد جلاديها، ولأن للرمز الكلي قدرة مضاعفة على الإشعاع الدلالي في النص

فإن في قدرة الشاعر على توظيفه يقع بيت القصيد، وهذا ما نجح به النواب، وكذلك مطر بوصفهما قامتين شعريتين، وصوتين منفردين في جوقة الشعر العراقي الحديث.

النتائج:

١- الرمز الكلي في الشعر العراقي الحديث:

اتضح من خلال دراسة أعمال الشاعرين أحمد مطر ومظفر النواب أن الرمز الكلي في الشعر العراقي الحديث يمثل أداة قوية للتعبير عن القضايا الاجتماعية والسياسية. يتمثل الرمز الكلي في استعارة رموز دينية وتاريخية معروفة، مثل النبي موسى والإمام الحسين، لتسليط الضوء على معاناة الشعب العراقي وواقعهم المأساوي تحت الأنظمة الاستبدادية.

٢- استراتيجية التعبير الرمزي:

استخدم أحمد مطر السخرية والمفارقة كأسلوب شعري لتمرير رسائله السياسية والاجتماعية المعقدة، حيث قدَّم الرموز التاريخية مثل "موسى" و"فرعون" بشكل يسمح للقارئ بإعادة تأويل النصوص وتوسيع فهمها. أما مظفر النواب، فقد اختار أن يتبنى الرموز الدينية والثورية، مثل شخصية الإمام الحسين، لربط الحاضر بالتراث وتقديم أبعاد جديدة للعدالة والمقاومة.

٣- الدور الفاعل للرمز الكلي في توصيل الرسائل:

لعب الرمز الكلي دورًا محوريًا في كشف معاناة الشعوب العربية والعراقية بشكل خاص. من خلال الاستعانة بشخصيات تاريخية ودينية تحمل دلالات غنية ومعروفة، مثل الإمام الحسين في شعر النواب، يتمكن الشاعر من إيصال رسائل قوية تتعلق بالظلم الاجتماعي والسياسي.

٤- الرمز الكلي كأداة للتغيير:

قدم الشاعران أحمد مطر ومظفر النواب الرموز الكلية كأداة للتعبير عن التمرد على السلطة وتحدي القمع، حيث استدعوا "كربلاء" بشكل مستمر في شعرهم لتكون رمزًا للثورة ضد الظلم، واستخدامها كمرآة تعكس الواقع العراقي في الثمانينات.

٥- التأثير في المتلقي:

يظهر أن الرمزية في شعر أحمد مطر ومظفر النواب استطاعت التأثير في المتلقي بشكل عميق، حيث أن غموض الرمز وإيحائيته فتح المجال للقارئ لتفسير المعاني المتعددة وراء الكلمات. بالإضافة إلى ذلك، حملت قصائدهم شعورًا بالثورة والمقاومة التي شكلت صدى في نفوس العديد من المتلقين في تلك الفترة.

التوصيات:

١- تشجيع البحث في الرمزية الشعرية:

يوصى بالاستمرار في البحث ودراسة الرمزية الشعرية في الأدب العربي المعاصر، خصوصًا في السياق العراقي، إذ يمكن أن تُظهر فاعلية الرمزية في معالجة القضايا الاجتماعية والسياسية بشكل أعمق وأوضح.

٢- ضرورة التركيز على الجوانب الثقافية والتاريخية:

يُنصح بتوسيع الدراسات الأدبية لتشمل تحليل الرموز الثقافية والتاريخية المتنوعة في شعر الشاعرين، كون هذا يعزز الفهم الكامل لأبعاد الرمزية التي تستدعي الشخصيات التاريخية والدينية.

٣- تحليل تأثير الرمزية على المتلقي المعاصر:

يجب على الدراسات المستقبلية أن تركز أكثر على كيفية تأثير الرمزية في الشعر العربي على الأجيال الجديدة، وكيفية استيعابهم لرسائل الشاعر في سياقاتهم الخاصة. كما يمكن دراسة مدى تأثير هذه الرمزية على الفهم الشعبي للقضايا السياسية والاجتماعية.

٤- مواصلة تعزيز الأساليب النقدية الأدبية:

من المهم تطوير أساليب النقد الأدبي لتقديم قراءات أعمق للنصوص الشعرية الحديثة التي تعتمد على الرمزية، خاصة في الشعر الذي يتناول قضايا الثورة والمقاومة، بهدف استخراج المزيد من الدلالات المخفية.

٥- نشر الشعر الثوري وتحليله في المناهج الأدبية:

يوصى بإدراج أشعار أحمد مطر ومظفر النواب في المناهج الأدبية العربية الحديثة، لدراسة الأساليب الشعرية التي تعتمد على الرمزية، ولتسليط الضوء على الدور الكبير الذي يلعبه الشعر في مقاومة القمع والدعوة للتغيير.

٦- دراسة أوسع للرمز الكلي في الأدب العربي:

يفتح هذا البحث المجال لمزيد من الدراسات التي تتناول الرموز الكلية في الشعر العربي الحديث، خاصة في مواجهة الأنظمة القمعية أو في سياقات الثورات الاجتماعية والسياسية، بما يعزز فهم العلاقة بين الأدب والشعب في ظل الأنظمة الاستبدادية.

المصادر والمراجع:

١. أحمد مطر، نبذة عن حياته و أجمل أشعاره، بنان أبو عيد، دار حمواربي للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط١، ٢٠٠٧.

٢. استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، علي عشري زايد، الشركة العامة للنشر والتوزيع، ط١, طرابلس، ١٩٨٧.

٣. البلاغة الحديثة , د. محمود البستاني , دار الفقه للطباعة.

٤. البنيات الأسلوبية في الشعر العربي الحديث، مصطفى سعدي، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر.

٥. التصوير الشعري– رؤية نقدية لبلاغتنا العربية، عدنان حسين قاسم، الدار العربية للنشر ولتوزيع، مصر، ٢٠٠٠.

٦. الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة بين عامي ١٩٤٨ و ١٩٧٥ م د راسة نقدية، صالح خليل أبو أصبع، دار البركة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٩.

٧. الشعر العربي المعاصر قضايا ه وظواهره الفنية والمعنوية، د.عز الدين اسماعيل،ط٣، دار الفكر العربي.

٨. عن بناء القصيدة العربية الحديثة، علي عشيري زايد، ط٤، مكتبة ابن سينا، القاهرة، ٢٠٠٢.

٩. مظفر النواب أجمل قصائده، يوسف شنتوت الزبيدي، دار دجلة، عمان، ٢٠٠٨.

١٠. مظفر النواب سجين الغربة والاغتراب أحلام يحيى، دار نينوى– دمشق، ٢٠٠٥.

١١. معجم لسان العرب، ابن منظور، دار الفكر، ط١، ج٣، بيروت، ٢٠٠٥.

١٢. مقتطفات من حدائق الشعراء، أحمد مطر، نزار قباني، محمود درويش، دار البحار للطباعة و النشر و التوزيع، درب البريج، عمان، الأردن.

البحوث والدوريات الجامعية المحكمة:

١. الشعرية في النثر الصوفي , د. اسماعيل خلباص حمادي , رسالة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها , كلية التربية (ابن الرشد) جامعة بغداد , ١٩٩٨.

٢. الفرق بين الأسطورة والخرافة والتاريخ، نبيل أبو علي, مجلة كلية الآداب, جامعة حلوان, العدد الخامس، ١٩٩٩.